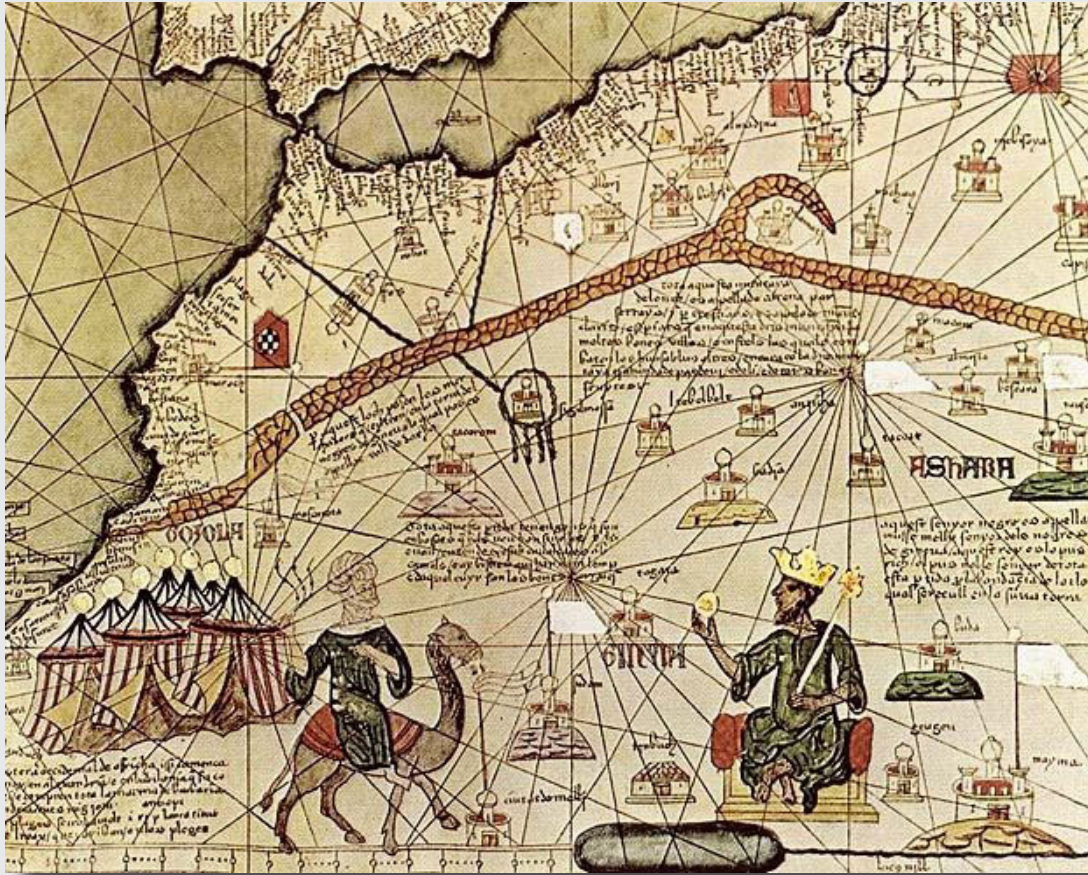


# قبائل الماندينكا

## إرث تاريخى وحضارة مستمرة



تُعرف بالماندينكا... أو الماندينجو .. أو المالينكى. وهى واحدة من أكبر القبائل والجماعات العرقية الإفريقية، التى يزيد عددها عن الـ11 مليون نسمة، ولها انتشار اقليمى وجغرافى فى كل من ( مالى، غينيا، جامبيا، كوت ديفوار، السنغال، غانا، بوركينا فاسو، النيجر، ليبيريا، و سيراليون)، كما تُشكل هذه العرقية واحدة من أكبر المجموعات اللغوية فى الغرب الإفريقى انتشاراً والتى تُعرف بمجموعة "مانده" التى

استمراراً لخط مجلة "إفريقيا قارتنا" فى الإبحار فى مختلف بلدان قارتنا الإفريقية للتعرف على ملامح وطبائع سكان و قبائل القارة، سنصحبكم معنا فى هذا العدد للترحال فى مناطق الغرب الإفريقى للتعرف على قبائل تعدى محيط سكانها والمنتمين لها حدود الدولة الواحدة، وباتت تُشكل جزءاً كبيراً من المعادلة السكانية فى أكثر من 10 دول إفريقية.

يتحدث بها 20 مليون إفريقيًا. ويُطلق على لغتهم اسم "أنكو" وقد أدى اتساع رقعة المناطق التي يتواجدون بها إلى انقسام تلك اللغة لـ4 لهجات رئيسية هي ( ماندينكا- مبارا- مندكو- جولا). أشهرها لغة "المبارا" وتستخدم في النصوص المكتوبة وفي وسائل الإعلام والنظام التعليمي هي . بينما تُعد لغة "الديول" الأكثر انتشاراً من الناحية الشفهية.

من الناحية التاريخية تُعد قبائل الماندينكا بمثابة الوريث الشرعي لنسل إمبراطورية انتشرت قديماً في مناطق غرب إفريقيا، وهي إمبراطورية مالي الكبرى التي سطع جُهمها تحت حكم ملك الماندينكا العظيم "سوندياتا كيتا". ومن بعده الملك مانسا وإمبراطورية كابو التي كانت تضم عشرين مملكة صغيرة، وغيرها من الإمبراطوريات الأخرى.

أما من الناحية الجغرافية فقد انتشرت "الماندينكا" منذ تواجدها الأول بامتداد المناطق المحيطة بنهر النيجر وما حوله من حزام الصحراء الكبرى شمالاً وشرقاً، وصولاً إلى ضفاف المحيط الأطلنطي غرباً وجنوباً. حيث كانوا يبحثون دوماً عن العشب والكلأ والأراضي الزراعية الصالحة للزراعة.

تدين النسبة الأكبر من سكان قبائل الماندينكا بالإسلام. حيث أن أكثر من 99٪ منهم من المسلمين، وكانت يوماً من الممالك الإسلامية الهامة في غرب إفريقيا التي ساعدت على انتشار الدين الإسلامي في ربوع القارة السمراء، ولعل من أهم تلك الممالك مملكة مالي التي عُرفت منذ القرن الحادي عشر، وإشتهر ملوكها بالاهتمام بنقل علوم القرآن وإقامة المؤسسات الإسلامية، ولعل من أشهرهم الملك "مانسا موسى" الذي عُرف أيضاً باسم "كانم" والملك صنجاى، والملك برنو وغيرهم، كما قامت ممالك للماندينكا في شمال دولة "كوت ديفوار" والتي نجحت في الاستقلال عن مملكة غانا عام 1050م. قبل أن تتمكن دولة المرابطين من احتلال عاصمة المملكة بعد حرب دامت لنحو 20 عاماً، انتهت بالقضاء نهائياً على مملكة غانا عام 1076م على يد أمير المرابطين في الجنوب "أبو بكر بن عمر" وهي الممالك التي انتشر

نفوذها بعمق في القرن الـ 13 وحتى قدوم المستعمر الأوروبي مع بدايات القرن الـ 15 بداية بالمستعمر البرتغالي، ثم الفرنسي فالبريطاني الذين شنوا هجمات واسعة لسلب ونهب ثروات تلك الممالك واختطاف الأطفال والشباب والفتيات لاستخدامهم كعبيد، واستمرت هذه الجرائم البشعة حتى تم حريم تجارة الرقيق عام 1848م. بعد ما تسببت في تشتت قبائل الماندينكا ونشر الذعر والهلع في إقليم غرب إفريقيا كله.

وتروى قصص الأجداد أن أمجاد مملكة الماندينكا الإسلامية في ساحل العاج قديماً، تعود إلى "ساموري توري" الذي ولد عام 1835، وعندما شب جمع حوله العديد من رجال قبائل الماندينجو المسلمين لمحاربة المستعمر الفرنسي، وفي عام 1884 وبعد حروبه الطويلة ضد الفرنسيين الذين لقبوه باسم "نابليون الإفريقي" نظراً لدهاءه والمكر والقدرة على التخطيط العسكري الذي كان يتمتع به، نجح "ساموري" في تأسيس أكبر إمبراطورية إسلامية في غرب إفريقيا، وكانت تضم أجزاءً شاسعة من بلاد ساحل العاج، ولقب نفسه "بأمير المؤمنين"، وتذكر كتب التاريخ أن المستعمر الفرنسي حاول استخدام كل نفوذه للإيقاع به، مستخدماً لتحقيق ذلك قوته العسكرية تارة والاستعانة بقبائل الشرق التي لم تدخل في الإسلام تارة أخرى، وأخيراً نجحت تلك الجهود في استمالة ملك غينيا المسلم "تيا" للإيقاع بساموري الذي اضطر لعقد هدنة مع الفرنسيين عام 1887م، تخلى بموجبها عن بعض المناطق التي كانت تحت نفوذه، ولكن سرعان ما عادت الحرب مرة أخرى حتى تم الاستيلاء على عاصمته "كانان"، فسارع نحو تأسيس عاصمة جديدة لمملكته في مدينة "داباقالا" البعيدة عن نفوذ الفرنسيين عام 1891م، وبعد حروب طويلة قدم فيها ساموري ومسلمو ساحل العاج أروع صور الكفاح، استطاعت القوات الفرنسية محاصرته في مناطق الغابات والإيقاع به بمنطقة "جويلمو"، ليتم سجنه في أحد سجون الجابون في 29 سبتمبر 1898م ثم توفى بها بعد عامين . ويؤكد المؤرخون على أن قبائل الماندينكا قامت



بجهود كبيرة لنشر الدين الإسلامي في غرب إفريقيا، ولكن الملاحظ أيضاً أن جهودها تلك لم تصادف نجاحاً في المناطق الجنوبية لساحل العاج بسبب وجود الغابات الكثيفة التي تفصل بين الشمال المسلم والجنوب الذي كان يدين وقتها بديانات وثنية، واستطاعت "الماندينكا" تغيير عادات وثقافات أهل هذه المناطق، حيث اندثرت عادة العري التي كانت تغلب على عادات القبائل المحلية، كما تم تنظيم الزواج وتحديد عدد الزوجات مع منح المرأة حق اختيار زوجها، ووقف عادة توريث المرأة للابن أو الأخ، وتشريع قوانين خاصة بالعلاقات الأسرية وإعطاء المرأة حق الحضانة والميراث.

كما يذكر التاريخ أن ملوك مملكة مالي اشتهروا بالبذخ في الإنفاق على نشر الإسلام وإقامة المساجد والمؤسسات الإسلامية، وكان من هؤلاء الملوك الملك "مانسا موسى" الذي يعد اغني رجل في تاريخ البشرية، وهو واحد من أعظم زعماء إمبراطورية مالي في غرب إفريقيا وأشهر زعمائها المسلمين في القرون الوسطى، وكانت عاصمة مملكته "تمبكتو" وجامعة "مسجد سانكوري" بمثابة مراكز علمية وقبلة للدارسين، وقد بلغت مالي تحت حكمه الذي استمر زهاء 25 عاماً أوج قوتها، ويذكر في هذا المقام الإشارة إلى أن الأراضي التي تشكل دولة مالي حالياً شهدت قيام ثلاث ممالك قوية هي ممالك "غانا، سوجاي، وماندينكا"، وقد سيطرت مملكة "ماندينكا" على الأراضي الممتدة على طول نهر النيجر ووصلت إلى أوج قوتها وثنائها خلال القرنين 13، 14، ثم أخذت تتراجع تدريجياً تاركة المجال أمام مملكة سوجاي.

ومن الأمور الجديرة بالتوقف عند مدلولاتها أن أول دستور في العالم جاء من رحم القارة السمراء، حيث جاء دستور "الماندنجو أو الماندنج" متقدماً على كل الدساتير الأوروبية والغربية، وسابقاً قائمة الحقوق البريطانية "الماجنا كارتا" بحوالي 453 سنة، كما سبق إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي بأكثر من نصف قرن، وهو الدستور الذي تمت صياغته جماعياً من تحالف قبائل الماندينكا في منتصف القرن 13 وتحديداً في عام 1236م، حيث كان الدستور الخاص لإمبراطورية مالي لعدة قرون حتى انهيارها في عام 1645، وكان يحمل مبادئ ليبرالية واضحة فيما يتعلق بتنظيم الدولة والحقوق والحريات وقضية الملكية والتنظيم الاجتماعي، وحماية حقوق المرأة والأطفال والضعفاء في المجتمع، حتى إنه اهتم كذلك بحماية وحفظ البيئة.

واللافت أن شعب الماندينكا من الشعوب التي تتمسك بشكل كبير بتقاليدها الثقافية، ومن المعروف أيضاً أن ثقافة الماندينكا من الثقافات التي تتفاعل كثيراً مع الثقافات المجاورة، وتتميز بغنى وجمال الموسيقى الخاصة بهم (يستخدمون أداة موسيقية وترية تسمى كورا، أما الأغاني والأدب المحكي فتقوم جماعة "الجريوتس" وهم طبقة المنشدين بحفظه ونقله للأجيال المتعاقبة عبر محاكمة المهزومين ولانتخاب ملك جديد ولصياغة الأغاني والقصص التاريخية.

ومن الناحية التاريخية، تأسس الدستور وتمت صياغته بعد نجاح انتفاضة مسلحة قام بها "سوجاتا كيتا" ضد ملك غانا "سوماو ورو كانتي"، الذي كان مسيطراً على الماندينكا، وبعد نهاية الحرب تم اجتماع كل القبائل المتحالفة مع كيتا عبر محاكمة المهزومين ولانتخاب ملك جديد ولصياغة قانون يصبح أساساً للدولة الجديدة حيث تم انتخاب

للماندينكا على لغات الهنود الحمر، وبنجاح الماندينكا في الوصول أولاً للبرازيل بوصفها الأرض الأقرب إلى ميناء غرب إفريقيا التي أبحرت منها رحلة بكارى، وهذا ما تؤكدهُ الرموز المنقوشة التي عُثر عليها في مدن "باهيا وميناس و جيراييس" ثم وصولهم لدولة بوليفيا حيث أقاموا صلوات امتدت لفترة طويلة مع هنود "جزيرة الكواتي" التي ورثوا منهم نظام الكتابة بالرموز، وأوضحت دراسات



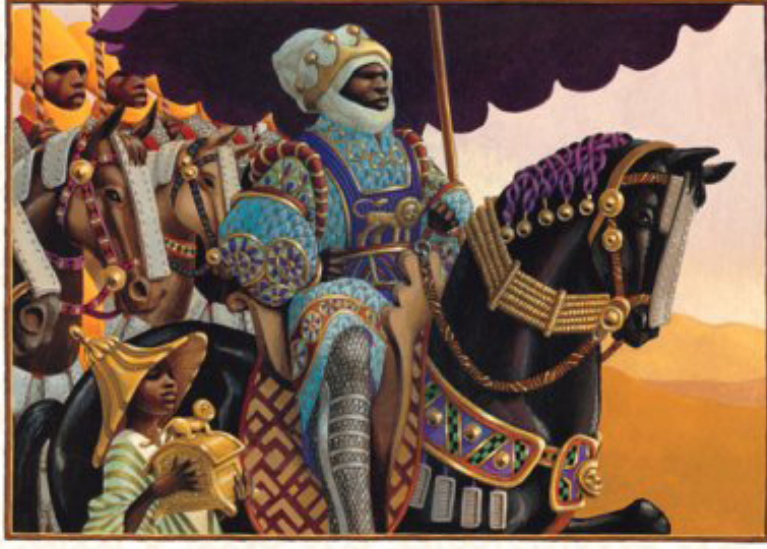
أن علاقات الماندينكا وهنود بوليفيا لم تكن جيدة، حيث تعرضوا هناك كما يبدو لهجمات أدت لمقتل عدد كبير من محاربيهم، غير أن ذلك لم يوقفهم فاستمروا في الإبحار باتجاه الغرب حتى وصلوا إلى شواطئ المحيط الهادي بالقرب من مدينة "يلو" في البيرو، حيث تركوا كما تشير التقارير نقوشاً دينية تم صياغتها بنظام الكتابة الخاص بالماندينكا، تؤكد على أن هدف الإنسان هو عبادة الله، من ناحية أخرى أوضحت الدراسات أن الماندينكا لجحوا في الاندماج مع هنود "الكاريب" الذين اشتق من إسمهم اسم "البحر الكاريبي"، وترجح المصادر أن بعض الماندينكا بقوا في "بنما" حيث شكّل أحفادهم قبيلة مختلفة عرفت باسم "الماندينج" المعروفة حالياً في أمريكا الجنوبية، وهو اسم واضح أنه تم تحريفه من اسم قبائل "الماندينكا".

ولعله من المفيد وقبل ختم هذا التقرير، الإشارة إلى أن شعب الماندينكا قدم ولازال يقدم للإنسانية عبر تاريخهم الطويل الكثير والكثير من الإسهامات الثقافية والتاريخية والدينية، كما قدمت رموزاً تاريخية ونماذجاً من الشخصيات الهامة والمؤثرة في بلدانهم، سواء على صعيد السياسة أو الفكر والأدب والفن والرياضة، ومن بين هؤلاء على سبيل الحصر والمثال:

"سوجاتا كيتا" ملكاً للملكة، كما تمت الصياغة المشتركة للقوانين ومن ثم إعلان الدستور في ساحة "كوروكان فوجا" في مدينة "كاجابا" الواقعة على حدود مالي وغينيا، وقد تم نقل الدستور عبر الأجيال شفهيّاً عن طريق مجموعة خاصة مكلفة بحفظ التاريخ يُطلق عليها "دجيل" ولاحقاً تمت كتابته بجهود علماء ومؤرخين في القرن العشرين، وقام بتبويب مواده ونشرها المؤرخ الغاني "سيرمان كووياتي"، ويُذكر هنا أن الدستور تمت صياغة مواده من مصادر مختلفة، أهمها عادات وأعراف وتقاليده سكان "الماندينكا" بعد غريبتها واختيار الصالح منها، وقوانين وعادات قبيلة "سراكولي" المتأثرة بالشريعة الإسلامية، وبعض قوانين الحاكم السابق "سوماو ورو".

ومن الأمور اللافتة التي اهتم علماء التاريخ بتتبعها، محاولة الإجابة عن التساؤل التالي.. هل نجحت الرحلات التي قام بها رجال ملكة ماندينكا من مالي في الوصول إلى قارة أمريكا واكتشافها قبل "كولومبس"؟ .. حيث استنتج العلماء نجاح السلطان "أبي بكارى" أحد ملوك قبائل الماندينكا، في الوصول إلى البرازيل وبيرو والولايات المتحدة، وتم العثور على نقوش تخص الرحلة التي قام بها، كما أكد علماء اللغويات وجود تشابه بين الأثر اللغوي

# MANSA MUSA



By KHEPHRA BURNS ❖ Illustrated by LEO & DIANE DILLON

## من أشهر أبناء الماندينكا فى مالى:

الملك مانسا موسى، "يوندياتا كيتا" مكتشف ملكة مالى، موديبو كيتا" رئيس مالى من ١٩٦٠-١٩٦٨. "امادو توماني توريه" رئيس الدولة الحالى، "موديبو سيدي بيه" الذى شغل منصب رئيس الوزراء، "يوروديا كيتا" رئيس الوزراء السابق، الموسيقيون "ساليف كيتا، توماني دياباتي، موسى كويات، بابا سيسوكو، امي

كوايتا، ولاعبو الكرة "مامادو سيد بيه، محمد سيسوكو، اسماعيل كوليبالى".

## فى سيراليون:

"احمد تيجان كباح" رئيس دولة سيراليون خلال الفترة من ١٩٩٦-٢٠٠٧، "حفصة كيتا وزيرة المصادر المائية والمصايد، "مينكايلو مانسارى" وزير العمل والتوظيف، "محمد دارامى" وزير التنمية والتخطيط الاقتصادى، "نينا دابو" رئيس لجنة مكافحة الفساد، "مابينتى دارامى" نائب وزير التجارة والصناعة، "كاجى دارامى" المتحدث باسم رئيس سيراليون، سفيرا سيراليون فى كل من إيران وغينيا، "خديجة كباى" ملكة جمال سيراليون لعام ٢٠٠٦، ولاعبى الكرة "كونور مانسارى، وبرما كيتا".

## ومن أعلام قبائل الماندينكا فى غينيا:

"سامورى تورا" مكتشف ملكة "واسولو" التاريخية، "سكو تورا" رئيس غينيا خلال الفترة من ١٩٥٨-١٩٨٤، "سيدي توريه" الذى شغل منصب رئيس الوزراء، "كابيني كورمارا" رئيس الوزراء السابق، لاعبو كرة القدم "كابا ديوارا، مامادى كبا، الحسن كيتا، مشاهير الموسيقى "سيكوبا بامبينو، مامادى كيتا، سورى كانديا، ولاعب الجيتار الاشهر" سيكو

بيمبايا".

## وفى جامبيا:

"داوودا جاوارا" رئيس ورئيس وزراء جامبيا من ١٩٦٢-١٩٩٤، "شريف مصطفى ديبا" أول نائب للرئيس ١٩٧٠-١٩٧٢، "اوسانيو داربو" رئيس جبهة المعارضة، "سيدي جاتا" السياسى المعارض، و الموسيقيين "فوداي موسى، ديمبا ساياخ، وانديفينج جوبارتى".

## ومن أعلام الماندينكا الكبار فى كوت ديفوار:

لاعبو الكرة "كولو توريه، سولومون كالو، عبد القادر كيتا، هارونا كوني، بكارى كونييه، بونافينتور كالو، "يايا توريه" والمغنيين "الفا بلوندى، وايشا كونييه".

## وفى السنغال:

كل من "سليمان ديوارا لاعب الكرة الشهير، و الموسيقيين سيكو كيتا، و كاسامانس بابو".

## فى ليبيريا:

كل من وزير الخارجية السابق "مومولو دوكولى، والسياسى "سيكو كونييه".

## فى بوركينا فاسو:

لاعبا كرة القدم الشهيرين "امادو كوليبالى"، و "شيخ كوجو".